

33

الاسلام

الجزء العاشر

فتنة السامري

33

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى

غَادَرَ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَبَلَ الطُّورِ حَامِلًا أَلْوَا حَ
التَّوْرَةَ ، وَعَائِدًا إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَدْ مَلَأَهُ الْغَضَبُ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّ السَّامِرِيَّ
قَدْ أَضَلَّهُمْ ، فِي أَثْنَاءِ غَيْبَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ رَحِيلِهِ
عَنْهُمْ ، وَصُعُودِهِ الْجَبَلَ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ ، كَانَ قَدْ أَخْبَرَهُمْ
أَنَّ غَيْبَتَهُ عَنْهُمْ لَنْ تَطُولَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ..

فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُوَاصِلَ

صِيَامَهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ ، اسْتَبْطَأَ الْقَوْمُ عَوْدَتَهُ ،
وَقَتْلَهُمُ الْيَأْسُ ، وَرُبَّمَا ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ ثَانِيَةً ..
وَانْتَهَزَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ « السَّامِرِيُّ » فُرْصَةَ غَيْبَةِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَمَعَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْحُلَى الذَّهَبِيَّةَ ،
الَّتِي كَانُوا قَدْ اسْتَعَارُوهَا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ
مِنْ مِصْرَ ، لِلْإِحْتِفَالِ بِعِيدِهِمُ الْمَزْعُومِ .. فَلَمَّا
أَنْجَاهُمُ اللَّهُ - تَعَالَى - مِنَ الْفِرْعَوْنِ أَصْبَحَتْ كُلُّ هَذِهِ
الْحُلَى مِلْكًا لَهُمْ ..

وَصَهَرَ السَّامِرِيُّ هَذَا الذَّهَبَ ، وَصَنَعَ مِنْهُ عَجَلًا
مُجَوَّفًا مِنَ الدَّاخِلِ ، وَجَعَلَ فِيهِ فَتْحَةً فِي الْخَلْفِ ،
وَفَتْحَةً فِي فَمِهِ ، بِحَيْثُ إِذَا دَخَلَ الْهَوَاءُ مِنَ الْفَتْحَةِ
الْخَلْفِيَّةِ ، وَخَرَجَ مِنَ الْفَتْحَةِ الْأَمَامِيَّةِ أَصْدَرَ صَوْتًا
يُشَبِّهُ خَوَارِ الْعُجُولِ الْحَقِيقِيَّةِ ..

وَقَالَ السَّامِرِيُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ صَنْعَ
الْعَجَلِ :

.. هذا هو إلهكم وإله موسى ..

وعبد بنو إسرائيل العجل ، بدلاً من أن يعبدوا الله

.. تعالى ..

نسى بنو إسرائيل أن الله قد أنجاهم من آل فرعون ،

ومن تعذيبهم لهم ، وأنه سبحانه قد أجرى على يدي

نبيهم موسى عليه السلام الكثير من المعجزات ، وأنه

ما كان يجب أن يعبدوا سواه ، سبحانه .. ولم يكن ذلك

جديداً عليهم ، فقد سبق ورأوا قوماً يعبدون الأصنام ،

وطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنماً يعبدونه ..

كما أنهم كانوا متأثرين بعبادة المصريين للعجل

أبيس .. ولهذا ما إن قدم لهم السامري العجل الذي

صنعه بيديه من الذهب ، وسمعوا خواره ، حتى التفوا

حوله وراحوا يؤدون له شعائر وطقوس العبادة ..

وانتشرت عبادة العجل بين بني إسرائيل ، وصار أغلبهم

يعبدون العجل ، بينما ظلت قلة قليلة منهم على

إيمانهم بالله ..

فَلَمَّا رَأَى هَارُونُ أَنَّ فِتْنَةَ السَّامِرِيِّ قَدْ
انْتَشَرَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَاوِلَ مَنَعَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ
الْعِجْلِ ، وَأَفْهَمَهُمْ أَنَّهُمْ فُتِنُوا ، وَأَنَّ السَّامِرِيَّ قَدْ
أَضَلَّهُمْ ، وَاسْتَغَلَ جَهْلَهُمْ ، وَرَغْبَتَهُمْ فِي تَقْلِيدِ عِبْدَةِ
الْأَصْنَامِ ، وَصَنَعَ لَهُمْ هَذَا الْعِجْلَ .. قَالَ لَهُمْ هَارُونُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- لَيْسَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَلَا إِلَهَ مُوسَى .. إِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ اللَّهُ ،
وَإِلَهُكُمْ هُوَ اللَّهُ .. يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ..
وَلَكِنْ عِبْدَةُ الْعِجْلِ رَفَضُوا الْإِسْتِمَاعَ لِنُصْحِهِ ، وَلَمْ
يَرْجِعُوا عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ ..
وَأَخَذَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُذَكِّرُهُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ - تَعَالَى -
عَلَيْهِمْ ، وَمُعْجَزَاتِهِ الَّتِي أَجْرَاهَا لَهُمْ عَلَى يَدَي نَبِيِّهِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعَيِّرُوا كَلَامَهُ اهْتِمَامًا ، وَاسْتَمَرُّوا
عَلَى عِبَادَتِهِمْ لِلْعِجْلِ ..

وَلَمَّا اسْتَمَرَ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَصَحِهِمْ ،
تَكَاثَرَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ ، وَاسْتَضَعَفُوهُ ، فَكَادُوا يَقْتُلُونَهُ ..
وَلَمْ يَشَأْ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ بِالْقَلَّةِ الْمُؤْمِنَةِ ، الَّتِي
بَقِيَتْ مَعَهُ ، وَلَمْ تَعْبُدِ الْعِجْلَ ، حَتَّى لَا تَقَعَ الْحَرْبُ
بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلِهَذَا تَرَكَهُمْ يَعْبُدُونَ الْعِجْلَ ،
حَتَّى يَعُودَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مِيقَاتِ رَبِّهِ ، وَيَتَصَرَّفَ
مَعَهُمْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تُعْجِبُهُ ..

وَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَاضِبًا وَحَزِينًا مِمَّا فَعَلَهُ قَوْمُهُ فِي
أَثْنَاءِ غَيْبَتِهِ ، وَعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ مِنْ دُونِ اللَّهِ - تَعَالَى - ..
وَمَا إِنْ رَأَوْهُمْ مُلْتَفِّينَ حَوْلَ الْعِجْلِ ، حَتَّى صَرَخَ فِيهِمْ
قَائِلًا :

- ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾

وَمِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ أَلْقَى أَلْوَاحَ التَّوْرَةِ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَاتَّجَهَ إِلَى أَخِيهِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَذَبَهُ بِقُوَّةٍ مِنْ لِحْيَتِهِ ،
وَمِنْ شَعْرِ رَأْسِهِ ..

ثم صرخ فيه قائلاً :

- كَيْفَ تَسْكُتُ عَلَى هَذِهِ الْفِتْنَةِ ؟ ! كَيْفَ تَسْمَحُ لَهُمْ بِالْإِرْتِدَادِ عَنْ دِينِهِمْ وَعِبَادَةِ هَذَا الْعَجَلِ مِنْ دُونِ اللَّهِ - تَعَالَى - ؟ ! لِمَاذَا لَمْ تَقَاوِمَهُمْ وَتَمْنَعَهُمْ بِالشَّدَّةِ مِنْ عِبَادَةِ هَذَا الصَّنَمِ ؟ ! وَلِمَاذَا بَقِيتَ مَعَهُمْ وَلَمْ تَلْحَقْ بِي ، طَالَمَا عَجَزْتَ عَنْ مُقَاوَمَتِهِمْ ؟ ! هَلْ عَصَيْتَ يَا هَارُونَ أَمْرِي ؟ ! وَرَاحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَنْفُ أَخَاهُ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ قَصَرَ فِي نَصْحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهِ ..

وَتَحَدَّثَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِ ، وَأَنْ يَتْرَكَ لِحَيْتِهِ وَشَعْرَ رَأْسِهِ .. وَشَرَحَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَخِيهِ مَا حَدَثَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ الْأَمْرَ لَيْسَ فِيهِ عَصْيَانٌ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَقْصُرْ فِي نَصْحِ الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَرْضَ عَنْ عِبَادَتِهِمْ لِلْعَجَلِ .. وَهُوَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُغَادِرَهُمْ ، حَتَّى لَا يَظُنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَصَرَ فِي تَنْفِيزِ أَوْامِرِهِ بَعْدَهُ .. وَهُوَ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُقَاتِلَ عِبْدَةَ

العجل ، حتى لا تحدث فتنة وفرقة بين بنى
إسرائيل وبعضهم ..

وأفهم هارون أخاه موسى - عليهما السلام - أن
القوم قد استضعفوه وحاولوا قتله ، عندما نصحهم
بترك عبادة العجل ..

ورجا هارون عليه السلام أخاه أن يكف عن تعنيفه ، حتى
لا يزداد استضعاف القوم له ، واستخفافهم به ..

وأدرك نبي الله موسى عليه السلام أن أخاه هارون عليه السلام لم
يقصر في نصح القوم ، والقيام بأمرهم خير قيام من
بعده .. ولذلك تركه ووجه خطابه إلى العصاة
المرتدين من بنى إسرائيل ، فقال لهم :

- ﴿ يَا قَوْمِ : أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعِدًّا حَسَنًا ، أَفَطَالَ
عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ؟ ! ﴾ ..

ثم خاطب الذين عبدوا العجل ، فوبخهم ،

وَأَنْذَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، جزاء كفرهم وعصيانهم ..
بعد ذلك توجه موسى عليه السلام إلى السَّامِرِيِّ ، وسأله
عَنْ أَمْرِهِ ، وَالْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَتْهُ يَصْنَعُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
هَذَا الْعَجَلِ ، حَتَّى يَعْبُدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ..
فَقَالَ لَهُ السَّامِرِيُّ :

- ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ
أَثَرِ الرَّسُولِ ، فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ .
ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُ رَأَى الْمَلَكَ جَبْرِيلَ عليه السلام وَهُوَ رَاكِبٌ
فَرَسَهُ ، فَلَا تَضَعُ الْفَرَسُ قَدَمَهَا عَلَى شَيْءٍ ، إِلَّا دَبَّتْ
فِيهِ الْحَيَاةُ .. وَلِذَلِكَ فَقَدْ أَخَذَ حَفْنَةً مِنَ التُّرَابِ الَّتِي
سَارَتْ عَلَيْهِ فَرَسُ جَبْرِيلَ عليه السلام وَأَلْقَاهَا عَلَى الذَّهَبِ
الَّذِي صَنَعَ مِنْهُ الْعَجَلِ ، فِي أَثْنَاءِ صَهْرِهِ ، فَدَبَّتْ فِيهِ
الْحَيَاةُ ، وَصَارَ عَجَلًا لَهُ خُورٌ كَالْعَجَلِ الْحَقِيقِيِّ ..
وَحَتَمَ السَّامِرِيُّ حَدِيثَهُ قَائِلًا : إِنَّ هَذَا هُوَ مَا سَوَّلَتْهُ
لَهُ نَفْسُهُ ..

فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— إِنَّ عِقَابَكَ يَا سَامِرِيُّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْ
تَعِيشَ وَحِيدًا مَنُوبُذًا ، مِنْ النَّاسِ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ .. أَلَّا تَقْتَرِبَ مِنْ أَحَدٍ وَلَا يَقْتَرِبَ مِنْكَ
أَحَدٌ .. أَلَّا تَلْمَسَ أَحَدًا وَلَا يَلْمَسَكَ أَحَدٌ ..

إِنَّ عِقَابَكَ يَا سَامِرِيُّ أَنْ تَظَلَّ تَقُولُ : « لَا مَسَاسَ »
سَتَظَلَّ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لِكُلِّ مَنْ يَقْتَرِبُ مِنْكَ ، لِأَنَّ
لَمَسَهُ لَكَ سَوْفَ يُسَبِّبُ لَكَ أَلَمًا عَنيفًا .. لَقَدْ أَرَدْتَ
فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَمَعَهُمْ حَوْلَكَ لِيَعْبُدُوا إِلَهَكَ ،
وَلِتَكُونَ أَنْتَ زَعِيمًا عَلَيْهِمْ ، وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ تُنْبَذَ ..
هَذَا عِقَابُكَ فِي الدُّنْيَا ، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا
لَنْ تُخْلَفَهُ مَعَ اللَّهِ — تَعَالَى — ، لِيُعَذِّبَكَ كَيْفَ يَشَاءُ ..
أَمَّا عَجَلُكَ الَّذِي صَنَعْتَهُ مِنَ الذَّهَبِ ، وَأَضَلَلْتَ بِهِ
ضَعَافَ الْإِيمَانِ ، وَضَعَافَ الْعُقُولِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
فَسَوْفَ أَحْرِقُهُ ، وَأُلْقِي بِهِ فِي الْبَحْرِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ
أَثَرٌ بَعْدَ الْآنِ ..

وأشعل موسى عليه السلام نارا حامية ، ثم ألقى بالعجل فيها ، فصهره ، ثم ألقى به فى البحر ، فانتهى إلى الأبد ..

وخاطب موسى عليه السلام قومه مذكرا إياهم بأن إلههم هو الله الذى لا إله إلا هو ، وليس هذا العجل الذى عبدوه فى غيبته ..

ثم خاطب الكافرين المرتدين عن دينهم من عبدة العجل ، قائلا لهم : إنهم قد ظلموا أنفسهم بعبادتهم هذا العجل من دون الله - تعالى - ، الذى أنعم عليهم بكل هذه النعم ، وفضلهم على كثير من خلقه ..

وأفهم موسى عبدة العجل أن عليهم أن يتوبوا إلى الله خالقهم ، وأنه ليس أمامهم سوى طريق واحد للتوبة ، حتى يغفر الله - تعالى - لهم ذنوبهم ، ويتوب عليهم ..

وهذا الطريق إلى التوبة هو أن يقتل عبدة العجل

أَنْفُسَهُمْ ، أَوْ يَقْتُلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ ..
فَأَخَذَ عَبْدَةُ الْعَجَلِ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَكُلُّ مَنْ قَابِلٍ
مِنْهُمْ صَاحِبَهُ قَتَلَهُ ..

ثُمَّ تَابَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَبْدَةِ
الْعَجَلِ ، فِيمَا بَعْدَ وَرَحِمَهُمْ ، إِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ..

وَلَمَّا زَالَ الْغَضَبُ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَعَادَ إِلَى هُدُوئِهِ ،
أَمْسَكَ أَلْوَاحَ التَّوْرَةِ ، وَرَاحَ يَقْرَأُ الْوَصَايَا الْمَكْتُوبَةَ
فِيهَا عَلَى قَوْمِهِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا جَاءَ فِيهَا ..
فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ :

- إِذَا كَانَتْ أَوْامِرُ التَّوْرَةِ وَنَوَاهِيهَا سَهْلَةً قَبِلْنَاهَا ..
فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- بَلْ تَقْبَلُونَهَا كُلَّهَا وَتَعْمَلُونَ بِمَا فِيهَا ..
وَلَكِنَّ الْقَوْمَ ظَلُّوا يُجَادِلُونَ وَيُسَاوِمُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
مِرَارًا وَتَكَرَّرًا ، حَتَّى لَا يَقْبَلُوا كُلَّ الْوَصَايَا ، وَيَخْتَارُوا
السَّهْلَ مِنْهَا لِيَعْمَلُوا بِهِ فَقَطْ ..

فَأَمَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْجَبَلَ ، فارتفع فوق
رُءُوسِهِمْ ، وصار كأنه غَمَامَةٌ ، فقال لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :
- إِنْ لَمْ تَقْبِلُوهَا كُلُّهَا سَقَطَ فَوْقَكُمْ الْجَبَلُ
وَقَتْلَكُمْ ..

فَنَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ فِي رُغْبٍ ، وَقَبِلُوا
وَصَايَا التَّوْرَةِ ..

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء
الكتاب التالي
موسى
عليه السلام
(11)

(التوبة)

احرص على اقتنائه